هن جيل الريادة وهن جيل التضحية.

لم يك الدخول سهلاً ولم يك البقاء داخل اللغة يسيراً.

ولذا فإن هذا الجيل النسوي تحول إلى (حكاية حضارية) فيها من الألم أكثر مما فيها من المتعة، وفيها من الخسارة أكثر مما فيها من المكاسب. وهناك ترادف قدري ما بين (القلم) و(الألم). والقلم ثعبان تمكن الرجل من تطويعه وسحب سمومه على مر القرون ولكن المرأة تمد يدها إلى آلة لا خبرة لها فيها، وتجهل أنها سامة وأن القلم ألم. ولذا فقد دفع جيل الرائدات ثمن هذه المغامرة الجديدة. وكأنهن قد وقعن في رمال متحركة وسط صحراء مهلكة، وكل مزيد من الحركة في وسط هذه الرمال يزيد من تراكمها على المرأة حتى إنها لتخنقها أخيراً وتقضي عليها.

المرأة كائن حكواتي تعرف لغة الحكي وتحتمي بها وتعرف أسرارها ومسالكها. لكنها لم تك كاتبة، والقلم مذكر (رجل) فلما التقطته المرأة فكأنما قد التقطت حية تسعى، هذه الآلة ثعبان والكتابة خطر وجنون.

تلك هي حكاية باحثة البادية (ملك حفني ناصف 1886 - 1965) وحكاية مي زيادة (ماري إلياس زيادة 1886 - 1941). وهما كاتبتان تمثلان ذلك الجيل النسوي الذي تكشف على اللغة، ودفع حقوق هذا الكشف. وكانت حياة كل واحدة منهما هي حكاية انكتبت وكأنما صارت الكاتبة مكتوبة، والفاعلة مفعولاً بها. وهذا هو ما سنحاول تتبعه في هذا الفصل.

1 - 2 أن تتكلم المرأة في كلام لم تكن موجودة فيه فهذا معناه أنها تقحم نفسها في عالم ليس هو عالمها وأنها تنتقل بهذا من كون كان يحيط بها ويصونها إلى كون يكشفها ويتحداها، في حين إنها تتحداه.